

ما بعد حرب غزة .. ليس كما قبلها

عبد المعطي أبو زيد
رئيس التحرير

الحرب المأساوية التي شهدتها قطاع غزة في السابع من أكتوبر ٢٠٢٣، تمثل واحداً من أسوأ فصول الصراع الفلسطيني الإسرائيلي منذ عام ١٩٤٨، بخسائرها العسكرية، وأعداد الضحايا خاصة من المدنيين الفلسطينيين، وتداعياتها السياسية والإنسانية الهائلة.

هذه الحرب - حتى بعد انتهائها - فإنها أوجدت مناخاً جديداً، وتركت أثراً بعيداً المدى نفسية وسياسية واستراتيجية وعلى الأوضاع في الأراضي الفلسطينية وفي منطقة الشرق الاوسط بكاملها، وطبيعة العلاقات فيه، وكذلك مستقبل قضايا المنطقة وفي مقدمتها القضية الفلسطينية.

فهذه الحرب، وما شهدته من جرائم إبادة جماعية ارتكبتها جيش الاحتلال ضد المدنيين الفلسطينيين سوف تترك جراحاً غائرة لأجيال من أبناء الشعب الفلسطيني تزيد من صعوبة التعايش السلمي وتضعف من فجوة الثقة التي سوف تصعب بلا شك من جهود التوصل إلى تسوية نهائية عاجلة للقضية الفلسطينية.

في الوقت نفسه، فإن نتائج هذه الحرب وضعت حداً لمحاولات التطبيع العربي الإسرائيلي وتسويق قبول إسرائيل لدى المزيد من الدول العربية، فالشعوب العربية لم تعد على استعداد لتفهم متطلبات السلام في المنطقة خاصة في الشق الخاص باستيعاب هذه الدولة التي كشفت عن حجم هائل من الاستهانة بالحياة والكرامة الإنسانية للشعب الفلسطيني وسفك الدماء باستخدام العنف والقوة الغاشمة ضد المدنيين العزل وقتل الأطفال

والنساء واستخدام التجويع سلاحاً ضد ملايين المواطنين الفلسطينيين. من جانب آخر، قد تؤدي النتائج المباشرة لعملية السابع من أكتوبر إلى العديد من التغييرات في المجتمع الإسرائيلي من وجوه عديدة، سواء على صعيد الهجرة المعاكسة لليهود خاصة من العلمانيين ورجال الأعمال والتكنولوجيا الحديثة من الذين يحملون جنسيات مزدوجة للعيش في بلدان أخرى أكثر أماناً واعتدالاً يحملون جنسياتها، أو على صعيد الاتجاه العام للرأي العام الإسرائيلي لمزيد من الانحراف نحو اليمين، ليس كحكومة فقط .. ولكن على مستوى قطاعات أخرى من الأفراد والجماعات، حيث شهدنا تراجعاً بل واحتفاءً مؤسفاً لتيارات وأحزاب اليسار في إسرائيل الذي كان من المفترض أن يهب في مواجهة السياسات الدموية للحكومة الإسرائيلية التي تلحق المزيد من العار بالدولة العبرية وسجلها الدموي المشين. وعلى الصعيد الإقليمي، أثبتت الحرب زيف مواقف وادعاءات العديد من القوى الإقليمية التي طالما تاجرت باسم فلسطين وبقضية فلسطين، وتبنت الكثير من الفصائل والجماعات تحت شعارات تحرير القدس، فإذا بها تتوارى خجلاً بعد ما خذلت الفلسطينيين في أسوأ محنة يتعرضون لها، ومن المؤكد أن هذه الحقيقة سوف تنعكس على تأثير ودور هذه القوى الإقليمية خاصة لدى الشعب العربي. وعلى الصعيد الدولي، أثبتت الحرب أن صمت العالم تجاه سياسات الاحتلال والاستيطان والتهويد هو قبلة موقوتة يمكن أن تنفجر في أي وقت لتهدد سلام واستقرار المنطقة وكذلك الكثير من المصالح الدولية، وأن المجتمع الدولي مطالب بإلحاح بأن يبذل جهداً جاداً وحقيقياً لتنفيذ الحل العادل للقضية الفلسطينية والذي هو موضع إجماع منذ سنوات بعيدة، وذلك عبر حل الدولتين. إن استخلاص الدروس والعبر الناجمة عن الحرب في غزة تؤكد أن القضية الفلسطينية، والمنطقة بكاملها لم تعد ولن تعود كما كانت عليه قبل هذه الحرب المأساوية.